الأفكار السياسية لدى ماركيوز وهابرماس

أ.م.د اسعد عبدالوهاب عبدالكريم* م.م. وليد مساهر حمد**

الملخص:

تميزت مدرسة فرانكفورت بطابعها النقدي وهي وليدة الفكر الاشتراكي الماركسي، إذ ساهمت في تطوير الفكر الألماني خصوصاً والفكر الغربي عموماً من خلال الأفكار المهمة التي طرحها عدد من روادها في مختلف اجيال المدرسة ومن اهمهم رائد الجيل الاول ماركيوز، ورائد الجيل الثاني هابرماس الذي كان لأفكارهم السياسية أثر مهم في الفكر العالمي واصبحت فيما بعد اساس قامت علية العديد من الافكار النقدية، وعلى الرغم من ايمان اعضاء المدرسة بفكرة نقد المجتمع والسلطة الا أنه كان لكل مفكر افكاره التي تميزه عن غيرة.

المقدمة:

تعد مدرسة فرانكفورت التيار الفكري والفلسفي والسياسي الذي ظهر في فرانكفرت– ألمانيا، عند إنشاء هذه المدرسة بقرار من وزارة التربية بتاريخ ٣– فبراير/١٩٢٣ بالاتفاق مع معهد الأبحاث الاجتماعية، تأسس المعهد بمبادرة تمويل من ابن رجل أعمال يدعى (فيلكس فيال)،كما كان التأسيس مرحلة تتويج للحلقات الأسبوعية الماركسية التي كان يحضرها أو يحضر لها ثلة من الماركسيين الذين أرادوا إبراز مفهوم الماركسية الحقة أو الخالصة وأخذوا ذلك على عاتقهم في الكتابة والفعل الثقافي حينها، ومنهم (لوكاتش، وكروش، وجونبرج) وآخرون.

* تدريسي في جامعة تكريت/ كلية العلوم السياسية.

** ماجستير في جامعة تكريت/ كلية العلوم السياسية.

تمثلت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت باتجاهات فكرية مختلفة وهي:

١. اتجاه ماكس هوركهايمر وثيودور ادرنو، الذي تمثل بالمنهج النقدي الجدلي، الذي يهدف إلى توحيد النظرية بالممارسة، وتقديم نظرية نقدية للمجتمع، تستطيع الوقوف أَمام فكرة التسلط والعنف .

٢. اتجاه هربرت ماركيوز، الذي تمثل في رفض المجتمع القمعي القائم، والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الإنسان، وعدم النظر إلى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد .

٣. اتجاه اريك فروم الاتجاه النفسي–التحليلي الذي يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي، ويجتمع معه في هذا الاتجاه فرويد .

٤. اتجاه يورغن هابرماس، وهو اتجاه يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة، مجتمعاً صناعياً عقلانياً، ذا أيديولوجية تكنوقراطية، كما صاغها في نظريته في السلوك الاتصالي .

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية الأفكار التي طرحتها مدرسة فرانكفورت والتي أثرت على أوربا بشكل عام وعلى ألمانيا بشكل خاص، وكذلك تنبع هذه الأهمية من أهمية الأفكار النقدية لرائدان من رواد الجيل الأول والثاني لمدرسة فرانكفورت، والذي يعدان من اهم الركائز التي طورت المدرسة.

إشكالية البحث:

تنبع إشكالية البحث من الاجابة على عدة اسئلة مفادها: ماهي أهم الأفكار السياسية التي طرحها كل من ماركيوز وهابرماس؟ وما هو تأثير أفكارهما في مدرسة فرانكفورت بشكل خاص والفكر السياسي الغربي بشكل عام؟

فرضية البحث:

تنطلق فرضية البحث من فكرة مفادها (أنَّ أفكار كل من ماركيوز وهابرماس اتسمت بالنقدية وكانت أساس انطلقت منها العديد من الأفكار النقدية في مدرسة فرانكفورت).

منهجية البحث:

تقتضي الضرورة الأكاديمية إتباع منهجية محددة من مناهج العلوم الاجتماعية تساعدنا على تتبع الجوانب المحددة للدراسة، وقد وجدنا أنه من المناسب لذلك إتباع ثلاثة مناهج أساسية للتثبت من صحة الفرضية، وهي:

١- المنهج التحليلي: يحاول استخلاص أفكار سياسية بغية الوصول إلى نتائج موضوعية.

٢- المنهج المقارن: لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في أطروحات المفكرين السياسيين الألمان.

هيكلية البحث:

يقسم البحث إلى مطلبين يسبقه مقدمة وتليه خاتمة وقائمة مصادر، تناول المطلب الأول: الأفكار السياسية لدى رائد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت (هربرت ماركيوز)، إمَّا المطلب الثاني: فدرس رائد الجيل الثاني للمدرسة هو(يورجن هابرماس).

المطلب الاول: (الجيل الأول)هربرت ماركيوز* (١٨٩٨– ١٩٧٩) Herbert Marcuse

فيلسوف الماني، ومنظر اجتماعي، وصف المجتمع الصناعي بأنه نظام قمعي شامل، يكبت المناظرة والنقاش ويستوعب كل أشكال المعارضة، وفي مواجهة هذا المجتمع ذي البعد الواحد، دعم ماركيوز الإمكانية الطوباوية للتحرر الشخصي والجنسي، إذ لم ينظر إلى الطبقة العاملة التقليدية على أنها القوة الثورية ولكن إلى مجموعات مثل الطلبة والأقليات الاثنية، والنساء والعمال في العالم النامي، وكان لماركيوز التأثير الكبير على اليسار الجديد في الستينيات من القرن العشرين [١].

إن الفكر السياسي عند ماركيوز وإسهاماته في النظرية النقدية ليست بمعزل عن الأحداث السياسية البارزة في عصره، ومجرى تياراته، واتجاهات الفلسفة المؤثرة عليه، إذ إنَّ فشل القوى والأحزاب الماركسية والاشتراكية الألمانية والأوربية في الوصول للسلطة، بعد قيام ثورة اكتوبر ١٩١٧ الروسية وانتهاء الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا، وما تبعها من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية سيئة، ومن ثم النظم اليمينية

* هربرت ماركيوز(١٨٩٨_١٩٧٩) من مواليد برلين، كان عظوا قياديا بمدرسة فرانكفورت وأكثر المفكرين تأثيراً في حركة الطلاب الراديكالية في اواخر الستينات، بعد ان درس الفلسفة مع هايدجر وهسرل التحق بمعهد الدراسات الاجتماعية في فرانكورت١٩٣٣، القت به النازية في المنفى واستقر في الولايات المتحدة الامريكية إذ نشر مؤلفاته المؤثرة عن هيغل وعن العلاقة بين ماركس وفرويد، ودراسته النقدية عن الماركسية السوفيتية وهجومه على الرأسمالية الحديثة بوصفها شكلا من اشكال الهيمنة جعل منه كتابه ذا البعد الواحد اهم مفكري اليسار الجديد، وبقى ملتزما بنشاطه السياسي الراديكالي إلى مماته، ينظر: تيرنس بول وريتشارد بيللامي، موسوعة كمبريدج للتاريخ: الفكر السياسي في القرن العشرين، ترجمة: مي السيد مقلد، مج٢، ط١، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠)،ص٤٧١–٤٧٢.

[١] اندرو هيوود النظرية السياسية مقدمة، ترجمة: لبنى الريدي، ط١، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣)، ص٤٧٤–٤٧٥ .

الرجعية في بقية البلدان الأوربية، كان لها الأثر الكبير في تبلور الفكر السياسي عند ماركيوز[١] .

اكتسب ماركيوز شهرة عالمية فيلسوفاً، ومنظراً اجتماعياً، وناشطاً سياسياً، بعد أن ذاع صيته في وسائل الأعلام بوصفه (الأب الروحي لليسار الجديد) والمدافع عنه في الولايات المتحدة و أوربا، قَدَّمَ نظريته حول المجتمعات (ذات البعد الواحد) التي انتقد فيها كل من الرأسمالية المعاصرة ومجتمع الدولة الشيوعية، وكذلك كانت فكرته عن (الرفض العظيم) قد جلبت له شهرة أوسع بوصفه منظراً للتغيير الثوري، وداعية للتحرر من مجتمع الرفاهية الكاذبة، فكان واحداً من المثقفين الأكثر مكانةً في أوربا والولايات المتحدة خلال ستينات القرن العشرين وحتى الآن[٢].

شرع ماركيوز بإحياء الماركسية الأصلية، والحفاظ على طاقتها النقدية الجدلية المرتكزة على تفكير ماركس الفلسفي المبكر، والإيمان برسالة الفلسفة في التحرير والخلاص من نظم القمع والقهر، والتبشير بيوتوبيا أو نظام مضاد وبديل[٣].

يمكن تقسيم مراحل التطور في تفكير ماركيوز على ثلاث مراحل فالمرحلة الأولى تمتد من ١٩٢٨م إلى ١٩٣٢م، والثانية من ١٩٣٣ م إلى ١٩٤١م، أَمَّا الثالثة فتستغرق المدة الزمنية التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية فسوف نتحدث عن هذه المراحل بالترتيب[٤]:

---

[١] فيل سليتر، مدرسة فرانكفورت–نشأتها ومغزاها، ترجمة: خليل كلفت، ط٢،(القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٤)، ص٩٥.

[٢] مجموعة مؤلفين، الفلسفة الغربية المعاصرة، ج١، ط١، (الرياض: منشورات ضفاف، ٢٠١٣)، ص٧٥٥.

[3] Jay. M, The Dialectical Imagination A history of the Frankfort School and the Institute of Social Research, (Boston: Little Browm,1973),p.72.

[٤] محمد نور الدين أفايه، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، ط٢،(بيروت: افريقيا الشرق، ١٩٩٨)، ص٢٣ .

١- المرحلة الأولى (١٩٢٨م – ١٩٣٢م) .

يمكن القول بأن تفكير ماركيوز قد تأثر في هذه المرحلة بالنزعة الهيغلية الجديدة، وكان لمثاليتها الذاتية والجدلية النقدية تأثير ملحوظ فيما بعد في معظم زملائه من مدرسة فرانكفورت [١].

كانت حجج ماركيوز في نقد الجدل المادي والتاريخي جزءاً من المشروع الذي شغله في هذه المدة من حياته الفكرية لإقامة نظرية التغيير التاريخي على أساس النشاط العملي اليومي للفرد لا على أساس الفعل التاريخي المجرد للفاعل الطبقي، وقد اعتقد ماركيوز أنَّ أفكار هايدجر الأساسية التي وصف فيها المقومات الوجودية الرئيسة لوجود الإنسان في العالم وفي مواجهة الموت بداية من تعامله مع الأشياء في حياته اليومية، واعتقد أنها يمكن أن توجه الماركسية نحو أشكال العمل التي تؤلف الوجود الفردي في الحياة اليومية، ولا تستطيع الرأسمالية أن تقضي عليها قضاءً تاماً، وأنَّ هذا التأسيس الوجودي الهيدجري للماركسية يمكن أن يكون نقطة بداية ومنطلقاً جديداً للعمل الاجتماعي الجذري والممارسة الثورية لتغيير الواقع[٢].

٢ – المرحلة الثانية (١٩٣٣م – ١٩٤١م) .

وفيها ابتعد عن هايدجر وفلسفته، وانتقل إلى النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، واجتمعت جهوده وجهود زملائه من أصحاب النظرية النقدية طوال العقود الثلاثة الآتية على نقد الماركسية وإعادة بناء أسسها النظرية، واستخلاص الطاقات السالبة، التي ينطوي عليها الجدل المادي وقدراته على نفي الأوضاع السائدة في المجتمعات الشمولية (الرأسمالية والاشتراكية)، وتحليل عقلانيتها وتقدمها وحريتها وإنسانيتها المزعومة وردها إلى جذورها المتناقضة للعقل والتقدم والإنسانية والحرية الحقيقية[٣].

([1]) Ter .Zoltan, The Frankfort School The Critical Theories Of Max horKheimer and Odorno, (New York:،1997), P.361.

([2]) محمد نور الدين أفايه، مصدر سبق ذكره، ص٢٥ .

([3]) Ter . Zoltan, The Frankfort School, Op.Cit.,p .366.

كان أهم كتاب عَبَّرَ عن هذه المرحلة من تطور تفكير ماركيوز هو (العقل والثورة) و (هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية)، لقد تعلم ماركيوز من ماركس وهيغل معاً أن الإنسان العاقل هو الذي يختبر معقولية الواقع والفعل البشري بمقياس أو معيار للحقيقة يتجاوز الوضع القائم، وأنَّ الإنسان الحر العاقل لن يقبل النظام الواقعي والمعطى لمجرد أنه معطى وواقع، ولا شك أيضاً أنَّ هذا الكتاب قد كان خطوة هامة على الطريق الطويل إلى نقد مجتمع السيطرة أو التسلط على الفرد في ظل النظم الصناعية والتقنية المتقدمة التي وصفها جميعا بأنها (ذات بعد واحد)، وإلى نقد الماركسية السوفيتية ومحاولته تكملة الماركسية الجديدة والنظرية النقدية[١].

إن الصورة التي يقدمها ماركيوز للإنسان "لا كمثل ما يجب أن يضع بالإنسان من قبل، ما هو في ذاته مما يمكن أن يضع به اليوم فحسب بل، أيضاً التحقيق الواقعي لكل شيء يرغب فيه الإنسان أن يكون عندما يفهم نفسه في إطار امكاناته"[٢]، مما يجعل من مفهوم الإنسان عند ماركيوز مفهوماً لا نظرياً وعقلياً فحسب، بل مفهوماً واقعياً يتغير ويتحدد باستمرار بتغير الظروف والوقائع المعطاة في مرحلة محددة من التاريخ، منتجاً بذلك ماهيته وهويته بشكل مستمر لا ينقطع ولا يتوقف، ومن هنا سعيه إلى إنتاج حضارة لا قمعية بمبدأ واقع جديد يحتوي على القمع اللازم لقيام الحضارة وتحقيقه، لا على مستوى الفكر فقط، بل لتجاوزه إلى مستوى الواقع كاتجاه تمثل في الواقع المعطى وليس في الفكر فقط[٣].

٣ – المرحلة الثالثة (بعد الحرب العالمية الثانية / وفاته ١٩٧٩م) .

وفيها يطور نظريته السابقة الذكر عن السيطرة التقنية والعقلانية الصناعية والأداتية (متأثراً في ذلك بماكس فيبر)، في كتابيه عن (الماركسية السوفيتية) و(الإنسان ذو

---

[١] انطوني دي كرستي وكينيت مينوج، اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ترجمة: ناصر عبدالله، ط١، (القاهرة: المصرية للكتاب، ١٩٩٩)، ص١٠١ .

[٢] ايمان حميدان، فلسفة الحضارة عند هربرت ماركيز، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٥)، ص١٦٨.

[٣] المصدر نفسه، ص١٦١.

البعد الواحد) الذي حقق له شهرة كبيرة كما ينمي فلسفته في الحضارة ورؤيته للمجتمع الخالي من القهر والقمع في كتابيه (ايروس والحضارة) و(مقال عن التحرر).

أصبح مصطلح البعد الواحد، شهرة واسعة بعد صدور الكتاب الذي يحمل الاسم نفسه، وسخط هذا الإنسان المقهور هو النمط السائد في المجتمع ذي البعد الواحد أيضاً، وهو المجتمع الذي يجعل شعاره التقدم العلمي والصناعي، ويكرس نشاطه وتنظيماته ومؤسساته وقيمه لاحتواء الوعي الفردي والجماعي في عقلانية إنتاجه الصناعي الذي يمد سيطرته في ظل الأنظمة الشمولية كلها على قطاعات المجتمع السياسية والاقتصادية الثقافية، ويسخرها لخدمة المبدأ (الأيديولوجي) الذي يتحكم فيه، وهو مبدأ الإنتاجية المادية وتحقيق المزيد من الوفرة والرفاهية والاستهلاك[١].

وفي هذا المجتمع أيضاً تشكل العلاقات الإنتاجية وتوحد فيها والسيطرة عليها، بمختلف الأجهزة والمؤسسات الإدارية والإعلامية والوسائل والمناهج العلمية والفلسفية كالوضعية والبرجماتية، للوصول إلى أسلوب الحياة والوجود الموحد والمريح الذي لا مهرب منه، ولا سبيل إلى مقاومته ونفيه وتحديه إلاَّ من خلال الأفراد الرافضين والمحتجين والجماعات الهامشية المضطهدة والمنبوذة، كالطلاب اليساريين الذين تبنت حركتهم الثائرة على أنظمة السلطة في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية[٢].

في المجتمع المتحرر ستكون السمة الأساسية هي التضامن فهو يعمل على خلق انسجام في العلاقات الإنسانية فيما يخص العمل وغاياته وفيه يستطيع الإنسان أن يعبر عن ذلك الانسجام الحقيقي بين حاجات الفرد والمجتمع وأهداف كل منهما، وذلك ما سيقود نحو خلق مفهومٍ جديدٍ للحرية من خلال شعور المرء بأنه حر والاستقلال فما

(1) Herbert Marcuse, sros and Civilsation, (Great Britaim: First Sphte Books education, 1964),p.365 .
(2) Daniel, From Ideological to Territoriac,(New York: General Learning Press, 1977),p.267.

تنتجه العلاقات هو ما يريده تماماً لأنه خاضع لمعيارية التضامن والخدمة الاجتماعية[١]، وفي هذا الطرح اليوتيوبي عند ماركيوز هو شبيه بيوتيوبيا ماركس وافلاطون.

واستطاع ماركيوز ان يؤسس لنظريته النقدية عبر نظرته للنظرية العقلانية الاجتماعية بصفتها نظرية نقدية في فحواها وماهيتها، وفي ذلك يقسم ماركيوز محركات النقد على قسمين كما في الشكل رقم(١):

الشكل رقم(١) محركات النقد عند ماركيوز

الشكل من إعداد الطالب بالاعتماد على المصادر الآتية:

(1) Daniel،From Ideological to Territoriac،(New York: General Learning Press، 1977).

(٢) انطوني دي كرستي وكينيت مينوج، اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ترجمة: ناصر عبدالله، ط١، (القاهرة: المصرية للكتاب، ١٩٩٩).

أَمَّا موقفه من التقنية

تظهر من خلال تأثره بأستاذه هايدجر في هذا الجانب إذ يقول ماركيوز" بان التكنولوجيات سياسية قبل ان تكون اي شيء اخر هي أولاً سياسة لان منطقها السيطرة"، فهذا يعني ان التقدم التقني أصبح يشكل أداة تحكم وقوة على المجتمع وذلك انطلاقا من ان التكنولوجيا في هذه المجتمعات تعزز وتطور أشكالاً جديدةً ومبتكرةً من الرقابة الاجتماعية التي ستحقق الإنسان كلية وتحرمه من حريته وتسفر هذه الأشكال القمعية عن تحول الإنسان إلى حيوان منتج مستهلك بالدرجة الأولى [٢].

[١] مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها، ط١ (بغداد: دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٤)، ص١٧٠ .

[٢] توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، ط٢، (طرابلس : دار اويا، ٢٠٠٥)، ص١٧١ .

فالتقنية عند ماركيوز هي (منطق أو وضع) وموقف فلسفي أو أيديولوجي، ليست أدوات ووسائل عمل في يد الإنسان، بل أنها أدوات ووسائل تكسب منطق السيطرة وتكشف عصر التقدم التقني، وأيديولوجيا النظام التكنولوجي[١].

إنَّ انفصال الدولة عن المجتمع الذي حاولت الليبرالية تنفذه في القرن التاسع عشر، يزول: "فالدولة تأخذ على عاتقها التكامل السياسي للمجتمع، والدولة أيضاً في عملية صبغ المجال السياسي بالصبغة الوجودية والشمولية تصبح حاملة الامكانيات الاصلية للوجود نفسه، ليست هي المسئولة أَمَّام الإنسان، بل الإنسان هو المسؤول أَمَّام الدولة، أن هذا الشكل لسيادة الدولة الذي لم يعد يؤسس على أكثرية المعالم الاجتماعية، والاحزاب، البعيد عن كل شرعية ومشروعية رسمية هو شكل الزعيم الديكتاتورية واتباعه"[٢] .

يحدد ماركيوز أربعة عوامل أساسية أسهمت في واقع تحول الطبقة العمالية جذرياً إلى هيئة ذات وجه واحد، وهذه العوامل هي[٣] .

١. المكننة الأوتوماتيكية التي تقلل من العمل الجسماني للمعامل بما يقلل شعوره بالاضطهاد ويساعده على مماثلة نفسه مع الجماعة التقنية.
٢. تطور مفهوم الطبقة العاملة نفسه وتغير مضمونه وعناصره بسبب الانخفاض المستمر في عدد العاملين المنتجين من ذوي الياقات الزرقاء والزيادة المستمرة في عدد العاملين غير المنتجين من ذوي الياقات البيضاء، مما سيغير طبيعة التنظيم وعلاقات العمل، ونتيجة لذلك تصبح الحدود الفاصلة بين الطبقات غير أكيدة وغير واضحة أكثر فأكثر لتجد الطبقات المتصارعة

---

[١] سالم يفوت، المناحي الجديدة في الفكر الغربي المعاصر، ط١،(بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٩)، ص٩.

[٢] هربرت ماركيوز، فلسفات النفي: دراسات في النظرية النقدية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط١، (القاهرة: مكتبة دار الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ص٢٠ .

[٣] عامر حسن فياض وآخرون، موسوعة الفكر السياسي الحديث والمعاصر، ج٤، ط١، (عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ص٦٥٣-٦٥٤ .

نفسها مترابطة فيما بينها ترابطاً تؤكده وتخفي تناقضاته أيديولوجية توفيقية امتثالية متكاملة .

٣. فقدان الطبقة العمالية لوعيها الطبقي بشكل مستمر ومتزايد وتركيز اهتمامها على المشاركة في إدارة وتنظيم قضايا الإنتاج الرأسمالي بما يجعلها غير مؤهلة لحمل لواء الثورة .

٤. تجلي الهيمنة الطبقية المستمر والمتزايد في أشكال إدارية تنظيمية تخفي وراءها الاستغلال الحقيقي.

ينظر الشكل رقم (٢) يوضح كيفية سيطرة الدولة على الفرد وكيف تحقق الثورة.

الشكل رقم(٢) الإنسان ذو البعد الواحد عند ماركيوز

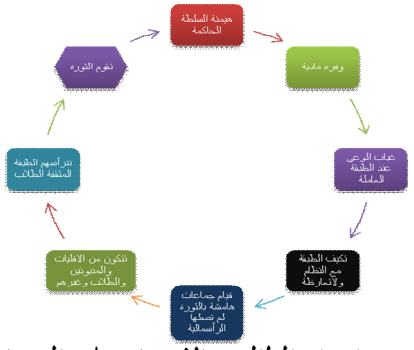

الشكل من إعداد الطالب بالاعتماد على المصادر الآتية:

١ هربرت ماركيوز، فلسفات النفي: دراسات في النظرية النقدية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط١، (القاهرة: مكتبة دار الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠١١)،

٢ إيمان حميدان، فلسفة الحضارة عند هربرت ماركيز، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٥م)

٣ كمال بو منير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، ط١،(الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢).

أَمَّا استراتيجية تحقيق الثورة عند ماركيوز فتقوم على عدة محاور هي:

١. تحرير الوعي: إذ عَدَّ أن الوظيفة الراهنة للمعارضة هي تطوير الوعي إذ يمكن له يوماً أن يتحول إلى قوة باعثة لحركة ثورية وأن يتكامل مع هذه الحركة إذ جعل مكانه الوعي شرطاً محورياً لتحقيق الثورة[١].

٢. القطيعة التامة مع الأنظمة القائمة أو مبدأ الرفض العظيم: بمعنى الرفض والتحرر من الاستغلال والاستلاب والتشيؤ والتخلص من تبعيته وتحقيق بعد استقلالي بدلاً من أحادي وغيرها من عوامل الظلم الذي بات المجتمع الصناعي يقوم عليها[٢].

٣. الدور التنويري (الطبقة المثقفة): فإنه ينظر إلى المعارضة الطلابية على أساس أنها عامل تغيير للمجتمعات الصناعية[٣]. ولتوضيح هذه الاستراتيجية ينظر الشكل رقم(٣) الاستراتيجية الثورية عند ماركيوز.

الشكل رقم(٣) الاستراتيجية الثورية عند ماركيوز

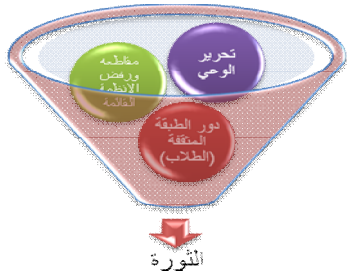

الشكل من إعداد الطالب بالاعتماد على المصادر الآتية:

(١) هربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، (بيروت، دار العودة للنشر، ١٩٧١م).

(٢) حسين محمد حسين، النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، ط١، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر ١٩٩٣).

---

[١] هربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، ترجمة: عبد اللطيف شرارة، (بيروت: دار العودة للنشر، ١٩٧١)، ص٤١٥ .

[٢] حسين محمد حسين، النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، ط١،(بيروت: دار التنوير، ١٩٩٣)،ص٢٣٧.

[٣] حسين محمد حسين، مصدر سبق ذكره، ص٢١٨ .

هذه هي الخريطة الثورية للعالم المعاصر، في منظور ماركيوز، وهي خريطة سوداء لا منفذ فيها لضوء، اللهم إلاَّ الدعوة الفوضوية التخريبية إلى الرفض العظيم، وإلى اليوتوبيا الحالمة بعالم جمالي جديد، التي لا تغير من الطبقة البرجوازية والنظام الرأسمالي شيئاً .

حاول ماركيوز أن يرسم صورة المجتمع الحر بعد الثورة، فالإنسان الجديد في هذا المجتمع الجديد شخص متحرر من فائض القمع الذي لايزال طاغياً على المجتمع الرأسمالي والصناعي المعاصر ذي البعد الواحد، وهو قادر على صنع الثورة وبناء مجتمع يمكن أن يتمتع فيه بالسعادة رجال ونساء عقلاء، ويصور مجتمعاً يتدفق فيه الإنتاج بغير حاجة إلى الحرمان والاغتراب، وتسمح فيه الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج (الآلات) بأن ترجع الطاقة الغريزية إلى طبيعتها الأصلية ويقلص فيه وقت العمل المغترب إلى أدنى حد، أو يستغني عنه بقدر الامكان بحيث أصبحت الحياة كأنها ما هي وقت فراغ حر[١].

لماذا لا تكون نظرية ماركيوز في الثورة ترويجاً للأيديولوجية البرجوازية ودفاعاً حاراً، وان كان غير مباشر، يمكن القول إن الأنظمة الرأسمالية والنتائج المنطقية المترتبة عليها يمكن حصرها بما يأتي[٢]:

١. طمس الصراع الطبقي على المستوى المحلي والعالمي .
٢. التسوية بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي والتغطية بهذا على جوهر الصراع في عصرنا، والتشكيك في وحدة القوى الاشتراكية والتحررية في العالم.
٣. التشكيك في الطاقة الثورية للطبقة العاملة ودورها التاريخي في البلاد الرأسمالية المتقدمة .
٤. تشكيك ثورات التحرر الوطني في حليفها التاريخي والطبيعي الذي يتمثل في النظام الاشتراكي العالمي عامة، والتحاد السوفيتي خاصة .

---

[١] محمد عاني، المذاهب النقدية الحديثة، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤)، ص٨٧ .

[٢] حسن محمد حسين، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٠ .

٥. إهدار الأيديولوجية أساساً للتقدم الاجتماعي، وعدّ التكنولوجيا وحدها سبيلاً إلى هذا التقدم، فضلاً عن تصويرها بصورة قمعية مطلقة.
٦. قصر إمكانية الثورة على قوى هامشية أو غير أساسية في العملية الاجتماعية.
٧. تصفية القيمة الثورية للتنظيم، وقصر العمل الثوري على عمليات تمردية خارجية تخويبية ذات طابع فوضوي.
٨. الدعوة إلى تحقيق يوتوبيات خائل فيها جانب العقل ويسودها الخيال .
٩. التعمية على القوانين الموضوعة للثورة، سواء على المستوى المحلي أو العالمي، وتغليب العوامل الذاتية وحدها من غير استبعاد وسيطرة على هذه القوانين الموضوعة .

إن ممارسة العمل السياسي الرافض إنما هي التنوير بأخلاقيات الثورة وتعميق الفهم للمجتمع الراهن وبدائيته الممكنة وأنَّ أولئك الذين يتصدون للعمل السياسي ينبغي عليهم أن يعملوا جاهدين على خلق حساسية جديدة من شأنها أن تحدث تغييراً جذرياً، والواقع أن الطابع التعليمي للعمل السياسي يحول مهمة المنشغلين بالسياسة اشبه ما تكون بمهمة فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر[١].

إن الفن عند ماركيوز بأخذ على عاتقه الدور الاحتجاجي والنقدي وهو دور أساس غير أنَّ تأثير العمل الفني السياسي ليس مباشراً عبر عمليات شكلية" ان الفن لا يستطيع ان يغير العالم لكنه يستطيع الإسهام في تغيير وعي وغرائز الرجال والنساء الذين يمكن لهم أن يغيروا العالم"[٢].

وعليه نخلص إلى أن ماركيوز يستعمل مفهوم الايديولوجيا في ثلاثة معان كما في الشكل رقم(٤)[٣]:

---

[١] انطوني دي كرسبني وكينيت مينوج، مصدر سبق ذكره، ص٣٣ .

[٢] كمال بو منير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، ط١،(الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ص٧٦٧.

[3] نقلاً عن: عبد الله العروي، مفهوم الدولة، ط٩ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،٢٠١١)،ص١١٣.

الشكل رقم (٤) معان الايديولوجيا عند ماركيوز

الشكل من إعداد الطالب بالاعتماد على المصادر الآتية:

(١) عبد الله العروي، مفهوم الدولة، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١١).

ماركيوز والماركسية السوفيتية:

إذا كانت الماركسية قد عجزت في رأي ماركيوز عن حل مشكلة الحرية والسلطة، فذلك لأنها لم تنتبه لذلك الاستعداد الكامن فيها للخضوع والقهر والقمع أو لعرضه على غيرنا، وهو الاستعداد الذي يمد جذوره في تركيب دوافعنا الباطنة، ولذا لم يتم لنا التحرر الحقيقي إلاَّ بالثورة على هذا التركيب، وتغيير الإنسان وتحريره منه قبل التحرير الاجتماعي[١].

لقد أكد ماركيوز أنَّ الاستشهادات التي أخذها لينين على ماركس لا تناقض التصور الماركسي الأصلي، حول الإبقاء على الدولة في الطور الاشتراكي الأول، إلاَّ أن الأساس هو أن الدولة الاشتراكية مكرهة على ممارسة وظائفها، فهي (لا دولة الدولة) التي ستفكك وتحل نفسها شيئاً فشيئاً، بيد أن الدولة السوفيتية، إذ كانت تمارس وظائفاً سياسيةً ضد البروليتاريا نفسها في ظل تنظيم استبدادي مركزي لعملية الإنتاج، بعيداً عن مشاركة المنتجين المباشرين في السلطة والإدارة والتخطيط [٢].

([1]) **Herbrt Marcuse, one Dlmensional Man,(Great Britan: First Spnte Booka Education, 1963), P.301.**

[٢] مجموعة مؤلفين: الفلسفة الغربية المعاصرة، ج٢، مصدر سبق ذكره، ص٧٦٥ .

وجادل ماركيوز بأن "معظم الفكر الماركسي قد تدهور إلى عقيدة متصلبة ومن ثم تحتاج إلى غمرها في الخبرة الواقعية من أجل انعاش النظرية، وقد اعتقد في الوقت نفسه أن الماركسية قد تجاهلت مشكلة الفرد، وكان مهتماً طوال حياته بتحرير الفرد ورفاهيته بالإضافة إلى التحول الاجتماعي وإمكانية التحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية"[١].

يشير ماركيوز إلى الترابط بين التقدم التقني والسيطرة في ظل النظام الماركسي المتمثل بالاتحاد السوفيتي، إذ يتخذ "تقدم التصنيع والتنظيم العلمي للعمل طابعاً توليتارياً يهيمن على الحكام والمحكومين مبقياً على التحسين التقني لجهاز الإنتاج، وعليه يصبح المجهود الفكري من اختصاص المهندسين والتقنيين والخبراء، ومن ثمّ تصبح المعارضة ليس مجرد جريمة سياسية فقط، بل تخريب يسئ للاقتصاد والإنتاج ويتحول العقل من تنويري إلى عقل اداتي وغائي"[٢].

رأى ماركيوز أن النظام الماركسي في الاتحاد السوفيتي، "بعيد أن يكون نفياً للنظام الرأسمالي، بل هو يساهم بشكل حاسم في وظيفة الرأسمالية، إذ لا وجود لرقابة فعلية من قبل طبقة البروليتاريا، فالسلطة متمركزة في قمة الهرم، وهي سلطة بيروقراطية تهيمن على كل شؤون الحياة، تفرض على المجتمع عقلانية قمعية متشددة تعمل على استيعاب المجتمع بأكمله وتوجيه إنتاجه وتحديد استهلاكه"[٣].

---

[١] روبرت بنويك وفيليب جرين، موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين، ترجمة: مصطفى محمود، ط١، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠)، ص٣٣٥ .

[2] هربرت ماركيوز، الماركسية السوفيتية، ترجمة: جورج طرابيشي، ط ٢، (بيروت: دار الطليعة،١٩٧٣)، ص٤٩.

[3] هربرت ماركيوز، الماركسية السوفيتية، مصدر سبق ذكره، ص٤٦،١٣٥،١٣٨.

أَمَّا موقفه من النظام الرأسمالي فيرى ماركيوز "أنه نظام يحمل في طياته بذور فتانة ,يقول "اغرب مهارات المجتمع الصناعي المتقدم تمكن في العراقيل التي يضعها أَمَّام التغير الاجتماعي"[١].

يرى ماركيوز "أنَّ هذه الديمقراطية قد أوجدت حقوقاً وحريات تتفق مع المصالح الرأسمالية، فليست الأغلبية إلاَّ أغلبية السيطرة ولذا فإن هناك قدرة للسلطة على احتجاز الانحرافات ومساندة حركة الانشقاق الراديكالي، بقدر انصياع هذه الحركة للقواعد الساندة والموضوعة أصلاً من السلطة"[٢].

موقف ماركيوز من الحرية

كيف ينتقد ماركيوز نظاماً ديمقراطياً ويدافع عن الحرية من جهة أخرى؟ فيما يتعلق الأمر بنقد المجتمع الصناعي بشقيه الرأسمالي والاشتراكي يتجلى لنا أن مسألة الحرية في حقيقة الأمر طغت على الأبعاد السياسية لفكره السياسي أو فيما يخص الرؤية السياسية في تحديد النظام السياسي الأمثل مما يتجلى لنا أنَّ هناك حرية موجودة وحرية يجب أن توجد، فأَمَّا الأولى، حسب ماركيوز إنما وهي مزيفة هي عامل قدم وانتهك أي أعطى واحد في الوقت ذاته هو موجود وغير موجود، وهو الأمر الذي يرجح قوله بالنظام الديمقراطي[٣].

عبر ماركيوز عن موقفه من النظرية النقدية في كتابه (النظرية النقدية) و(العقل والثورة)، وهو يرى" أن المادية هي المذهب الذي تبناه النقد الماركسي إلاَّ أن المادية لم تكن مذهباً فلسفياً يواجه غيره من المذاهب الفلسفية، بل خطة عمل لدراسة

---

(١) هربرت ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج الطرابيشي، ط٣، (بيروت: منشورات دار الاداب، ١٩٨٨)، ص٢٨ .

(2) هربرت ماركيوز، نحو التحرر– فيما وراء الإنسان ذي البعد الواحد، ترجمة: ادوار الخراط، ط١، (بيروت: دار الآداب، ١٩٧٢)، ص٨٠،٨٤.

(3) H. Marcuse, Philosophy and Critical Theory, in" Negations . Essays in Critical theory", (Boston: Beacon Press, 1966),P.132.

الجانب الاقتصادي من حياة المجتمع المعاصر، وهذا ما جعل المادية التاريخية تناسب نظرية اجتماعية نقدية وتشكل أساساً لها هو اهتمامها بالمصلحة العملية للإنسان"[١].

موقف ماركيوز من العقل

أكد ماركيوز أن" العقل هو المقولة الأساسية في الفلسفة، لذا كان هدف الفلسفة هو ايجاد وسيلة لتحقيق التوافق بين المتناقضات، اي الذات والموضوع، فالذات لا تستطيع ان تصل إلى الوعي الذاتي والمعرفة المطلقة إلاَّ إذا استطاعت أن تدرك أن الموضوع لا يقابلها في تضاد، بل هو من صنعها، فالعقل لا يتحقق إلاَّ في هذا الإطار"[٢].

يعتقد ماركيوز أنه "عندما تصل الفلسفة إلى اكتشاف العلاقة بين العقل والحرية تنتهي مهمتها، ذلك لان المهمة الآتية في الكشف عن كيفية تحقيق العقل في الواقع، وهذه هي مهمة النظرية النقدية الاجتماعية"[٣].

ويقصد ماركيوز بالنظرية الاجتماعية النقدية" الشكل الذي اتخذته هذه النظرية في اعمال ماركس على وجه الخصوص، إذ جرى ان مهمتها الأساسية تتمثل في القيام بدور القيادة النظرية لتلك الفئة التي من المفترض أنَّ تحدث التغيير المطلوب في المجتمع وذلك انطلاقا من وضعها التاريخي"[٤] .

من الواقع هنا أن الفئة التي يقصدها ماركيوز هنا هي البروليتاريا، أَمَّا التغيير المطلوب في المجتمع فهو تحويل البناء الاقتصادي في اتجاه يحقق العقلانية، وما يكشف عن إمكانيات هذا التغيير وأهدافه هو النظرية الاجتماعية في صورتها

---

(1) Ibid.,p.134.
(2) Ibid.,p.137.
(3) Ibid., P.138.
[٤] هربرت ماركيوز، العقل والثورة، ترجمة: فؤاد زكريا، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩)، ص٢٣٩ .

الماركسية، وهي المادية التاريخية، وبذلك يقيم ماركيوز الصلة بين البعد النقدي في المثالية الألمانية من جهة والمادية التاريخية بوصفها نظرية نقدية من جهة أخرى[١].

أَمَّا بخصوص إسهامات مدرسة فرانكفورت الإيجابية فإن ماركيوز يذكر تنبؤها وفهمها للفاشية، وفي علاقتها مع الرأسمالية يذكر نهجها المتكامل في دراسة مشاكل العصر الاجتماعية والسياسية، كونها توظف علوم الاجتماع والنفس والفلسفة في فهم عملية تطور تلك المشاكل، وثمة خيبة أمل يستشعرها ماركيوز بسبب كون الثورة الاجتماعية التي نجمت عن الحضارة الغربية قد وظفت حائلاً أمام إقامة مجتمع إنساني أكثر جدارة بالاحترام[٢].

المطلب الثاني: الجيل الثاني(يورغن هابرماس)* (1929-) Jürgen Habermas

فيلسوف ألماني، يعد المفسر الرئيس (للجيل الثاني) لمدرسة فرانكفورت، وتمتد أعماله عبر عدة فروع علمية، إلا أنه رَكَّزَ الانتباه على(اتجاهات الأزمة) في المجتمع الرأسمالي، التي تنتج من التوترات بين تراكم الرأسمال والديمقراطية، أنَّ تحليله للعقلانية قد طَوَّرَ النظرية النقدية إلى ما أصبح نظرية (الفعل التواصلي)، وتتضمن أهم أعماله (نحو مجتمع عقلاني)، (وأزمة الشرعية)، (والنظرية الأهلية الصريحة) .

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٤٠ .

[٢] براين ماجي، رجال الفكر: مقدمة الفلسفة الغربية المعاصرة، ترجمة: نجيب الحصادي، ط١، (بنغازي: منشورات جامعة فار يونس، ١٩٨٨)، ص٢٦ .

* يورغن هابرماس (١٩٢٩–) من مواليد دوسلدورف ، من اكثر المفكرين الاجتماعيين تأثيرا في اواخر القرن العشرين، درس الفلسفة والتاريخ وعلم النفس في جوتنجن حصل على الدكتوراه في بون، أصبح مساعدا لادورنو في فرانكفورت في ١٩٥٦، حيث نشر كتابة (التحول البنيوي للمجال العام) في ١٩٦٢، استاذا للفلسفة وعلم الاجتماع في فرانكفورت في ١٩٦٤، وتعاطف مع المظاهرات الطلابية في اواخر الستينيات، ترك فرانكفورت في ١٩٧١ ليصبح مديرا لمعهد ماكس بلانك في شتارنبرج في بفاريا، إذ اكمل بناءه الثري للمادية التاريخية ونشر مجلد (نظرية العمل الاتصالي) في ١٩٨١، عاد استاذا لكرسي الاجتماع والفلسفة في فرانكورت في ١٩٨٤، ينظر: تيرنس بول وريتشارد بيللامي، مصدر سبق ذكره، ص٤٤٠.

أَمَّا فهمه للماركسية، انطلق هابرماس من أنها فكر يحتوي على قدرة نقدية هائلة لكل ما هو عام وشامل، وطرح في الوقت نفسه مشروع (إعادة توجيه الماركسية)، أي النظر إليها، ليس كمعتقد مغلق، وإنما كنقد، ومن هنا عَبَّرَ هابرماس تعبيراً جديداً في الفلسفة النقدية هو (الماركسية كنقد)[١]، فالماركسية وفق هذا المنظور ليست بأيديولوجيا فقط، بل هي طاقة متواصلة للنقد، فمع الماركسية نستطيع أن نفكر بصورة مادية ونستطيع أن ندمج بشكل كلي بين النظرية والتطبيق [٢].

عمل هابرماس على مشروع مساعدة الفكر الماركسي على أن يغدو من جديد فكراً نحو التحرر من خلال الممارسة العملية، بعد أن أصبح ممارسة عقائدية دينية داخل الأحزاب السياسية، فهذا المشروع يقوم على ثلاث قواعد ضخمة: الأولى قراءة واسعة للفلسفة الاجتماعية والثانية قراءة الماركسية كنقد، والثالثة نقد الماركسية نفسها بنفسها، بعد هذه القاعدة النظرية التي أقام هابرماس حددوها الواضحة في (النظرية والتطبيق) يمكن أن نفهم نظريته النقدية التجريبية كما توضحت في أهم ثلاثة أعمال له وهي: (الميدان العام) و(العقل والشرعية) و(التقنية والعلم كأيديولوجيا)[٣].

كتابه (الميدان العام) هو دراسة للدعاية والإعلام وسيلةً فعالة ومباشرةً من وسائل هيمنة الدولة ومؤسساتها البيروقراطية، بحيث تسهم في تكوين رأي عام يوازي أهدافها على الدوام، ولا تسمح لهذا الرأي بأن يتعارض مع برنامجها ومشروعها العام في السيطرة، وذلك خلق محفزات مرنة لأجهزة هيمنتها على الوعي الجماعي، وتنشيط

---

[١] يورجن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة: حسن صقر، (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٢)، ص١٨٠ .

[2] Nikolai sibilev، the socialist international،(Moscow: progress publisher،1984), p.80.

[٣] بول لوران اسون، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥)، ص١٨٩.

هذه الأجهزة بشكل يوازي حركية التاريخ لتطور الوعي الجماعي والمؤثرات التي تحيط بهذا الوعي وتمتلك القدرة على تحقيق خروج جزئي أو كلي له من الاستلاب العام[١].

الدعاية عند هابرماس

يبرز هابرماس الإشكاليات الاستلابية المولدة عن هيمنة الدعاية في المجتمع الغربي وطبيعة البنية التي تقوم عليها استمرارية هذه الهيمنة متشبعاً ذلك من خلال منظور تاريخي متراتب زمنياً وذي نسق منهجي في طريقة أثارة للمعضلات الجوهرية التي أسهمت في ترسيخ الإشكالية الكبيرة النهائية أي الاستيعاب الشامل للوعي عبر وسائل الأعلام[٢].

نجحت الدعاية في العصر الحديث في خلق وسيلة أخرى للتواصل، فقد أصبحت بحد ذاتها أساساً ومصدراً لمعطيات جديدة، فقد شملت كل شيء حتى النظام السياسي الذي يفرزها قد سقط داخل نطاق احتوائها، وذلك عبر تطورها السريع والمذهل افقياً على أرضية الواقع السياسي، وعمودياً داخل هرمية المؤسسات، فالبرلمان على سبيل المثال، وهو المكان الذي يساعد على خلق وتطوير النقاش السياسي ولكنه يقوم بخداع مبادئ وقوانين المؤسسة الدستورية، فبدلا من أن يكون نقاشاً حقيقياً سياسياً أصبح نقاشاً دعائياً[٣].

هذه الهرمية المتداخلة لمؤسسات السلطة المدعومة بالدعاية وبشبكة من أساليب استلاب الوعي الجماعي تقوم بالآتية بتوليد وحدات متناسلة من الأجهزة البيروقراطية الصغيرة تستولى على حركية المجتمع كلها، أَمَّا الآخر الأكثر خطورة في هذه المنظومة المغلقة فهو أن الطبقة البيروقراطية هي التي تمارس السلطة السياسية وتخضع المؤسسات لسيطرتها التامة ولإشرافها الصارم، ولذا فان البيروقراطية هي الإفراز

---

[١] علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماس، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص٩٤.

[2] Jay .M، the dialectical imagination, Op. Cit., p.280.

[3] Nikola sibilev, The socialist international, Op. Cit., P.13.

المتكامل لهيمنة السلطة السياسية القائمة ونشاطها الدعائي، وهي إنتاج للنموذج الذي تسعى لصياغته داخل الحياة اليومية العامة[١].

انبثق مبدأ الدعاية هذا بشكل ظاهر منذ القرن الثامن عشر، إذ نجح بخلق ميدان سياسي عام وجديد، اخذ يمارس تأثيراً على الوساطة والعلاقة القائمين بين الدولة والمجتمع من خلال تكوين (رأي عام) انصبت مهمته على إجراء تغير كلي وفعال لهيمنة الدولة على المجتمع، وإبراز هذه الهيمنة وفق صورة جديدة مع الحفاظ على قوتها ومحتواها بمساعدة شبكة كبيرة من المؤسسات التابعة للدولة مثل الصحافة اليومية الموجهة سياسياً أو عن طريق الانتخابات والاقتراع البرلماني، أو بوساطة الصياغة الخاصة للدستور[٢].

فاحتكار وسائل الدعاية من قبل فئة اجتماعية صغيرة تمثل مجموعة من المصالح، هي الصفة البارزة للدولة الاجتماعية المعاصرة، وأمسى المجال السياسي في قلب هذه الدولة مجرداً من الفعالية النقدية فقد قامت السلطة السياسية بانتزاع الوظائف الناقدة لهذا المجال من خلال عملية إفراغ مستمرة ومنفردة، وبهذا غدت الدعاية اليوم تتضمن ذاتياً القدرة على تجميع وتكثيف السلوكيات التي تمثل جواباً بالموافقة على استلابية المؤسسة القائمة جواباً مقرراً بواسطة ورضاء طوعيين من قبل المجتمع[٣].

كان مبدأ النقد مصدر تهديدٍ دائم للدعاية وهيمنتها على الأفراد، فقد غدا للرأي العام في حقبة الدعاية الشاملة عربة تقودها إرادة السلطة القائمة وتوجهاتها، في حين كان ينبغي أن يكون هذا الرأي هو الدليل الذي يوجه سياسة السلطة القائمة وقرارتها[٤].

يرى هابرماس إمكانية للخروج من نطاق الاستلابية الطاغية للدعاية، وذلك عن طريق خلق أو تنشيط أنماط جديدة من الاتصالية بين الأفراد والسلطة القائمة، أو بين

---

(1) Ibid., P.15.
(2) Herbert Marcuse, counterrevolution And revolt,(London: Allen lan, 1972),p.88.
(3) Herbert Marcuse, counterrevolution And revolt, Op. Cit., P.89.
(4) Ibid.,P.90.

المجتمع والدولة، على أن يكون هذا الاتصال غير مشروط بأية مقاييس أو ارغامات مفروضة وأن يكون مستقلاً عن الصياغة الدستورية أو النطاق الأيديولوجي الذي يلتزم به النظام[١].

يلح هابرماس على ضرورة إقامة اتصالية اجتماعية عامة عبر تأسيس جدل جماعي مشترك يسوده خطاب عقلاني من شأنه أن يرفد الطاقة النقدية عند المرء بدينامية متجددة، ويحرر الوعي تدريجياً من الهيمنة الذهنية القائمة[٢].

النظرية النقدية عند هابرماس

أن الفلسفة النقدية التي يمثلها هابرماس اليوم لا تؤمن بنظرية نقدية بدون نقد عملي أو بدون حلول واقعية بديلة، وهذا يتطلب بالضرورة وجود فلسفة عمل وممارسة فضلاً عن نظرية للممارسة وما يحاول هابرماس أن يقوم به حالياً هو بناء هذه الفلسفة العملية القادرة على حل المعضلة الاجتماعية السياسية الراهنة [٣].

ويؤكد هابرماس في النظرية النقدية على أن "مهمة الفلسفة في المقام الأول هي مهمة نقدية تكون قادرة على نقد الأوضاع الراهنة في المجتمع، وتشخيص أحوال هذا المجتمع، ووضع الحلول لكثير من مشكلاته"، وينتظر هابرماس من" الفلسفة أن تكون حقاً معاصرة وأن تنتقد وهم الموضوعية التي تنسجه في العلوم حول طبيعتها"[٤].

كانت النظرية النقدية عند هابرماس بمثابة الروح والقوة الدافعة التي تحرك، وتغير الأوضاع القائمة، كان النقد هو مصدر تهديد دائم للدعاية وهيمنتها على وعي الأفراد، ويرى هابرماس أن إمكانية الخروج من نطاق الاستلابية الطاغية للدعاية هو خلق وتنشيط أنماط جديدة من التواصل بين الأفراد والسلطة القائمة[٥].

---

(1) Larry Ray, critical sociology, (Boston: Beacon Press, 1990), P.45.

(٢) علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت، مصدر سبق ذكره، ص١٣٩.

(٣) المصدر نفسه ص١٤٥

(٤) أنور مغيث، النظرية النقدية وأسسها المعرفية عند هابرماس، مجلة ابداع، العدد (٦)، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧٠.

(5) Larry ray، critical sociology, Op.Cit.،p.50.

نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس

أسس هابرماس لما يعرف بنظرية الفعل التواصلي، التي تقوم على أساس انخراط أطراف المجتمع في فعل التواصل والتوجه إلى الفهم والتفاهم، ومن ثم اللجوء إلى نوع من الاعتبار المتبادل فيما بينهم لصحة المطالب التي يثيرونها في أفعالهم الكلامية، أنَّ هابرماس يعنى بنوعين من الخطاب هما الخطاب النظري الذي تحلل فيه معاير الصدق، والخطاب العملي الذي يناقش فيه صواب هذه المعايير، إذ إن المشروعية المعيارية هي أهم المطالب في نظريته النقدية، بمعنى أن الخطاب النظري يأخذ مشروعيته من الخطاب العملي[١].

ولذلك فإن رؤية هابرماس لمستقبل المجتمع الإنساني تقوم على أساس الاتصال، الذي يعمل على تحرير الفرد من أشكال السيطرة ومن ثمّ قدرة الفرد على استعادة حقه في البنية السياسية.

إنَ أهم ما نستخلصه من نظرية الفعل التواصل لـ هابرماس يمكن تحديده بالنقاط الآتية:

١- التواصل عند هابرماس عبارة عن علاقات حوارية حرة وشفافة، تتم بين الأفراد، هدفها التفاهم، ويتضمن هذا الهدف تحقيق فكرة التعايش السلمي.

٢- يجعل هابرماس من العقلانية التواصلية الحل لمشكلات الحداثة والأزمات والأخطار التي تحيط بتفاصيل دقيقة من حياة الأفراد.

الرأسمالية عند هابرماس

أن الدولة الحديثة نتاجٌ للنظام الرأسمالي، ولكنها أسهمت في بقائه، ويعتقد أن شرعية الدولة لها حدود، فأنَّ ضعف قدرتها على حماية الناس من الأزمات الاقتصادية الرأسمالية يقلل من شرعيتها[٢] ويرى هابرماس" أن الرأسمالية الحديثة تتميز بهيمنة الدولة على الاقتصاد ومجالات أخرى من الحياة الاجتماعية، وأنَّ شؤون الحياة العامة

([1]) عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، (الكويت: مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، ١٩٩٣)، ص ٩٠-٩٩.

([2]) إيان كريب، النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هايرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، (الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٤)، ص ٣١٣– ٣١٤ .

لم يعد ينظر إليها مجالاً للنقاش والاختيار، بل أصبحت مشكلات تقنية تحل بواسطة استعمال خبراء يستعملون عقلانية أداتية"، [١].

يحدد هابرماس ثلاثة أنواع من الأزمات في النظام الرأسمالي وهي الأزمة الاقتصادية، وأزمة الشرعية، وأزمة الدافعية، فلكل مرحلة أزمة، الأزمة الاقتصادية تؤدي إلى الصراع بين العمل ورأس المال، وأنَّ زيادة تدخل الدولة ما هي إلاَّ استجابة لهذه الأزمة لحلها، وتؤدي إلى الأزمة الثانية وهي أزمة الشرعية، فتنشأ هذه الأزمة من إفراط الدولة في التدخل ويسميها أزمة العقلانية، وتظهر هذه الأزمة على مستوى التكامل الاجتماعي، لعدم قدرة النظام على التوفيق بين مصالح مواطنيها وهنا تفقد شرعيتها حسب وجهة نظر المجتمع، وإذا ما حلت هذه الأزمة فأنها ستنتقل بشكلٍ آخر إلى النسق الاجتماعي والثقافي الفرعي، لتشكل أزمة الدافعية وهي أزمة تكامل اجتماعي ناتجة عن زيادة طغيان الدولة للسيطرة على الأزمة، وهذا ينتج بدوره ضعف دافعية الناس في المشاركة الفاعلة في صنع القرار[٢]. والشكل رقم (٥) يوضح أنواع الازمات عند هابرماس.

الشكل رقم (٥) أنواع الازمات عند هابرماس.

الشكل من إعداد الطالب بالاعتماد على المصادر الآتية:

(١) ايان كريب، النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هايرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، (الكويت: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٤).

---

(1) المصدر نفسه، ص ٣١٤ .

(2) إيان كريب، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٥، ٣١٧ .

الأيديولوجيا عند هابرماس:

تعدَّ نظرية هابرماس عن الأيديولوجيا تحولاً لمعنى الأيديولوجيا من نموذج (الوعي) إلى النموذج (التواصلي)، وقد فهم هابرماس الايدلوجيا ليس على أنها شيء يصيب الوعي ويجعل منه وعياً زائفاً، بل على أنها تشوه يصيب التواصل بين الجماعات، ولذا كان حديث هابرماس عن نظرية التواصل المشوه"هو الذي لا ينجح في تحقيق إجماع حر وعقلي في عملية التواصل نتيجة خضوع هذه العملية للسيطرة والهيمنة سواء كانت هيمنة أيديولوجية أو نفسية" لذا فإنَّ ظاهرة الأيديولوجيا عند هابرماس هي ظاهرة تصيب عملية التواصل، وعملية إنتاج المعنى في الخطاب الاجتماعي[١]، إذن ترى أن التشوه يصيب التواصل من وجهة نظر هابرماس، وبالآتية يؤدي هذا التشوه إلى سوء فهم بين المشاركين في عملية التواصل، وبهذه النظرية اختلف مع هوركهايمر وماركيوز وآرندت.

إنَّ الأساس الذي أقام عليه هابرماس نظريته في الأيديولوجيا هو التميز بين العمل والتفاعل، فهابرماس نظر إلى السلوك الإنساني على أنه ليس سلوكاً أداتياً فحسب، بل تواصلياً أيضاً، لذلك فالفعل الإنساني ليس له معنى واحد، ولا هدف واحد، بل هو داخل في شبكة ومجموعة من الدلالات والرموز الاجتماعية، فالتفاعل والعمل هما المصدران الأساسيان للنشاط الإنساني[٢].

شَخَّصَ هابرماس، الانفصال بين النظرية والممارسة على أنه انفصال بين النشاط الفكري المشتغل بالبحث في المجتمع والإنسان، وبين الاهتمامات العملية للإنسان وقضاياه مثل قضايا الحرية والعدالة الاجتماعية ، ولقد رأى هابرماس أن النظرية النقدية هي القادرة على ربط النظرية بالممارسة .

كان هابرماس معجباً بالمادية التاريخية، لأنها كانت تمثل النموذج الذي يهتم بالواقع العملي، وهذا لا يعني أنه متمسكٌ بها طوال الوقت، بل أنه يعطي مثالاً على ارتباط

---

(1) Habermas، Justification And Application،" Remarks on Discourse Ethics"، (oxford: Polity Press، 1993)، P.384.
(2) Habermas، Between Philosophy And science: Marxism As critique in Habermas" Theory and Practice"، (Boston: Beacon Press، 1974)، P.192.

النظرية بالممارسة، وتتمثل أهميتها في تقديمها تفسيراً للتطورات الاجتماعية للعلاقة المتبادلة بين أصول النظرية وتطبيقاتها[١].

السلطة عند هابرمايس:

يميز هابرماس بين نوعين من السلطة (سلطة إدارية، وسلطة تواصلية) تشير السلطة الإدارية عنده إلى السلطة التي تمسك بزمامها الدولة، إي إلى السلطة التي تبرز في سن القانون وأعماله ابتداءً من تسعينات القرن الماضي وخصوصاً في كتابه (بين الواقع والمعايير)حين انصرف إلى دراسة العلاقات الشائكة بين الديمقراطية والقانون، ورصد الصلات القائمة بوجه خاص بين الرأي العام الذي يستدرج عنده ضمن ما يسميه ب(السلطة التواصلية)، والنمو الذي تستعمل به مؤسسات الدولة والقانون صياغة وتشريعاً وتنفيذاً، وتعبر السلطة الإدارية عن الهيمنة التي تمارسها الدولة على حياة مواطنيها وافعالهم، والسلطة التواصلية، مفهوم اعتمد فيه هابرماس تحليلات حنا آرندت يقول في هذا الخصوص ولا احد غير آرندت يستطيع في الواقع أن يمتلك السلطة التواصلية، أنها تنبثق من بين الناس عندما يفعلون سوياً، وتتلاشى حين يفترقون[٢]، والشكل (٦) يوضح أنواع السلطة عند هابرماس.

الشكل رقم (٦) أنواع السلطة عند هابرماس

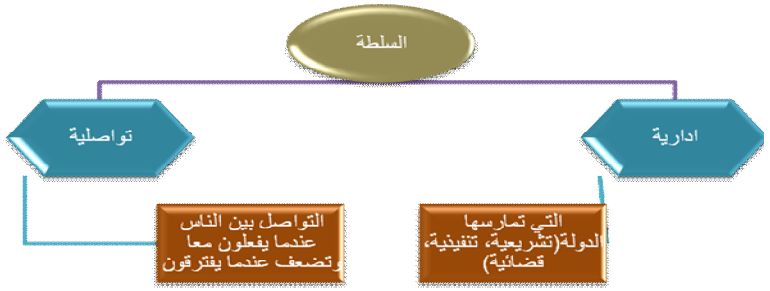

الشكل من إعداد الطالب بالاعتماد على المصادر الآتية:

(١) مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها، ط١ (بغداد: دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٤).

[1]Ibid. ،P.122.

[٢] مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٣

ويرى هابرماس أن تعامل الدولة مع القانون يكتسي بعداً أداتياً واضحاً أي إنَّ القانون في إطار السلطة الإدارية يكون بمثابة الأداة التي تتوسطها الدولة لتحقيق غايات خارجة عن القانون، لذا نكون في هذا الوضع أَمام سلطة نسقية تتوسل القانون لتنفيذ سياستها في المجالات كافة[١].

إن الهدف الذي يسعى إليه هابرماس قائم في العثور على السبل والآليات الكفيلة بتيسير التواصل بين السلطتين حتى لا تصطدما وينفجر الوضع ويختل النظام نظريته التواصلية تروم توجيه الضغط المنبعث من المواطنين عبر قنوات (مجتمعات مجتمع مدني ومنظماته المختلفة بما في ذلك وسائل الإعلام المتباينة) تصوغه وتبلوره على نحو يصبح فيه سلطة تواصلية واضحة المعالم تستطيع التأثير حينئذٍ في الانساق القانونية والإدارية التي تقول عليها السلطة الإدارية التي تملك بها الدولة، والغرض من تحويل الضغط إلى سلطة تواصلية مؤثرة في السلطة الإدارية راجع إلى أن السلطة الإدارية لا تكتسي شرعيتها في إطار الديمقراطية إلاَّ إذا أدرك المواطنون قرارتها من إذ أنها قرارات صادرة عنهم وليست مفروضة نسقياً عليهم[٢].

الديمقراطية والسيادة

إنَّ مفهوم الديمقراطية عند هابرماس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم السيادة، وله علاقة مباشرة بمفهوم الدولة والدستور، إذ إنَّ هابرماس يفسر الدولة الدستورية الديمقراطية والتي لها علاقة تواصلية خطابية ذات الصلة بالسياسات الديمقراطية إذا إن واقع الديمقراطية مفهوماً تداولياً أو نظاماً سياسياً قطع أشواطاً من حيث التطور والنشأة، فالسيادة عند هابرماس تطرق إليها في كتابه (الحق والديمقراطية بين الواقع والمعايير)، إذ ربط السيادة بأخلاقيات المناقشة وبالديمقراطية، ففي تحليلاته التي خصصها لمفهوم الديمقراطية نجد هابرماس يعرفها على أنها" نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة

[١] مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٤.

[٢] المصدر نفسه، ٢٩٥.

بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأي المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة"[١].

إنَّ مفهوم السيادة عند هابرماس كان له انعكاساته على التحولات التاريخية والاجتماعية وكان ذلك انطلاقاً من خلفيات متعددة كالصناعة واتساع السوق الاقتصادية، وكل ما حصل في الثورة الصناعية جعل من الوعي الديمقراطي يسير وفق تجانس المصالح واتقائها عرفياً ولغوياً ودينياً وتاريخياً مما نتج عنه وجود ما يُسمى بالدولة الحديثة، التي تبحث بدورها عن السيادة وتحلياتها على أفرادها في المجتمع، "فلقد نشأت الدولي الحديثة بداية كدولة جالبة للضرائب، ثم أصبحت دولة اقليمية ذات السيادة، قبل ان تتحول إلى شكل دولة قوية تنتمي إلى نموذج دولة ديمقراطية دستورية"[٢].

إنَّ علاقة الديمقراطية بالسيادة فإن الأولى تكون متغيرة ومستمرة ولها أوجه وأشكال متعددة تتمثل في الديمقراطية المباشرة، والديمقراطية شبه مباشرة، يمكن القول هنا بأن الديمقراطية هي شكل من أشكال السيادة لبناء الدولة والمحافظة على العلاقة التواصلية بين المجتمع المدني وسياسة الدولة إذ نجد هابرماس يقول" في السياسة الديمقراطية سأقتصر على اثنين منها: تسويغ مؤسسات ومبادئ الدولة الدستورية الديمقراطية، ومفهوم دور الميدان الشعبي الغير رسمي"، ان الديمقراطية بالمفهوم الهابرماس، فهي فعل وعمل المراد منه نبذ الصراع الكلاسيكي بين السلطة والمواطن، لذلك يربطها بثلاثة مفاهيم" العقلانية وهي السبيل إلى تشكيل السلطة، والتي هي بحوزة الإدارة والتي تساهم بالبرمجة وفق ما يميله النظام السياسي ، أَمَّا الرأي العام،

---

[١] عبد الوهاب الكيالي، . موسوعة السياسة، ج٥، ط١،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤)، ص٧٥١.

[٢] عبدالله السيد ولد اباه، المواطنة في عصر ما بعد الدولة الوطنية، مفهوم المواطنة الدستورية لدى هابرماس، مجلة التسامح، وازارة الاوقاف والشؤون الدينية، العدد (٢٠)، عمان، ٢٠٠٧، ص١١.

فبفضل الاجراءات العمومية يتحول الرأي العام إلى السلطة تواصلية قادرة على توجيه واستعمال السلطة العمومية، وهذا لا يعني تهميشه، بل المشاركة في التوجية"[١].

نماذج الديمقراطية

يقدم هابرماس ثلاثة نماذج تسهم في بناء نظرية المجتمع[٢]:

١. النموذج ضمن التصور الليبرالي: الديمقراطية هنا تكون وظيفتها جعل الدولة تتماشى والمصالح الاجتماعية وتكون علاقة الوصل هي الإدارة لتشكيل البنى التحتية لإيجاد اقتصاد السوق والرفاهية الاجتماعية.

٢. النموذج ضمن التصور الجمهوري: يكون التوجه هنا عبر الرأي العام، لا يكون ذلك عبر اقتصاد السوق، بل عبر المناقشة العمومية والحوار.

٣. النموذج ضمن تصور السياسة المداولاتية: يتمثل في تعدد أشكال التواصل المكونة للإرادة الجماعية المبينة على المعادلة العكسية للمصالح.

إنَّ هذه النماذج الثلاثة لمعايير الديمقراطية المحققة لشروط السيادة عبر الأنظمة الليبرالية والجمهورية يتوسطها النموذج الثالث الذي يجمع بين المصلحة الخاصة والمصلحة الجماعية عن طريق نشاط ديمقراطي تواصلي يحمل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية " وأنَّ المجتمع برأي هابرماس ليس فقط مجموعة إنتاجية تقوم على إشباع الرغبات، بل هو مجتمع يقوم على المحافظة على القيم الثقافية والأخلاقية، بقدر ما يحافظ على الإنتاج"[٣].

أكد هابرماس أنه لا وجود لنشاط ديمقراطي إلاَّ إذا استطاع المواطنون أن يتفقوا فيما وراء أفكارهم ومصالحهم الخاصة" أي يتفقوا على قضايا يقبل بها الجميع، هذا المفهوم هو يعد ما يكون عن الفكر الليبرالي الذي لا يؤمن بالإجماع، وإنما يعتقد فقط في التسوية والتسامح واحترام الاقليات"، ففكرة إنشاء مجتمع مدني من دون تغير أي

---

[١] مالفي عبدالقادر، مفهوم الديمقراطية عند هابرماس، مجلة اوراق فلسفية، العدد(١٠)، ص٣٤٤.

[٢] علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت، مصدر سبق ذكره، ص٥١.

[٣] مالفي عبدالقادر، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٤-٣٤٥.

شيء في النظام المؤسساتي حسب هابرماس ليس برنامجاً سياسياً معقولاً وناجحاً وإنما هو فكر عظيم[١].

تقوم النظرية الديمقراطية عند هابرماس على مفاهيم أساسية هي: أولاً العقلانية وهي عبارة عن شرعية بسيطة تعمل على تكوين السلطة. وثانياً السلطة وهي التي توجد بداخل الإدارة وتعبر عن طبيعتها لارتباطها بالتكوين الديمقراطي للراي العام، فضلاً عن أنَّ عملها لا يتوقف عن المراقبة. وأخيراً الرأي العام فبفضل الإجراءات العمومية يتحول الرأي العام إلى سلطة تواصلية قادرة على توجيه استعمال السلطة العمومية ، إذ إنها تعني مشاركة في التوجيه وليست هيمنة.

المواطنة والسيادة

أنَّ هابرماس يدعو إلى ضرورة التوسع الفكري الذي يتجاوز الحدود السياسية والثقافية في إطار علاقات تواصلية وتشاركية وحوارية، فهو يدعو إلى فكرة مواطنة عالمية، تنطلق من نقد الذات عن طريق الذوات وتلتزم بأخلاق كونية متفق عليها[٢].

إنَّ خطاب هابرماس الواضح والموجه إلى المواطن عبر اللغة والتخاطب الذي يتعدى على حدوده إلى غيره لتصنع له كلمة المواطن العالمي في اطار التشارك والحوار والاستماع إلى رأي الآخر، لأنَّ غياب ذلك كله يؤدي إلى زرع الفتن واللا تفاهم والتطرف والارهاب، وللخروج من ذلك يجب بناء إرادة فردية سياسية حكيمة مبنية على أسس ديمقراطية تحمل لواء السيادة[٣].

إن العلاقة بين المواطن والدولة تتجلى في تحقيق المصالح بينهما، على الدولة أن تكون ذات مصداقية لتحقيق المواطنة القانونية ويدعو هابرماس إلى تحقيق مواطنة عالمية وكونية يقول "يجب تطوير مواطنة قانونية، تمنح حق التشريع الذاتي على

---

[١] الان تورية، نقد الحداثة، ترجمة: صباح الجهيم،(دمشق: منشورات وزارة الثقافة،١٩٩٥)، ص١٥٦.

[٢] فرديرك هيتر، تاريخ موجز الديمقراطية، ترجمة: احنف ناصر ومكرم خليل، ط١،(بيروت: دار الساقي ٢٠٠٧)، ص١٥٦-١٥٧.

[٣] المصدر نفسه، ص١٥٧.

المستوى السياسي، فاجتماع هذين الشرطين هو ما نتج بعد الحرب العالمية الثانية، المشروع السياسي الاصلاحي الديمقراطية الاشتراكي الذي دعا إلى مجتمع عادل"[١].

فالشرطان اللذان ذكرهما هابرماس هو أن تكون الدولة ذات مصداقية مع المواطنين والثاني أن تحمل المواطنة الصيغة القانونية لتحقيق العلاقة التواصلية بين الدولة والمواطن ويؤكد هابرماس قائلاً" أنَّ حل هذه المشكلة لا يتطلب حكومة عالمية (فيدرالية دول)، وإنما نظام مواطنة كونية، ويبدو أنه يكفي إضفاء صيغة أخلاقية كونية على هذا، فسياسة داخلية عالمية بإمكانها الاعتماد بكل بساطة على اتفاق حول حقوق الإنسان إذا كان هو أيضاً على المستوى العالمي"[٢].

إن السيادة عند هابرماس تتجلى في دولة الحق والقانون التي يدافع فيها هابرماس" عن حق المواطن في امتلاك مستوى من الثقافة القانونية في دولة الحق والقانون والديمقراطية كي يتمكن من تعديل القوانين في الوقت الذي يتطلب الأمر تعديلها"[٣] .

إذن بنى هابرماس دولة الحق والقانون على مصالح الديمقراطية التشاورية والتي يكون للمواطن فيها حق المشاركة السياسية الفاعلة في المجتمع بين القوانين التشريعية وضبط الاندماج بكل أنواعه السياسية والاجتماعية والثقافية بآفق حداثية لتحقيق السلطة التواصلية المخولة إلى سلطة إدارية المتحكم في أمورها هو المواطن" إذ تتبلور في مشاريع قوانين مقترحة تعرف طريقها للتحقيق في إطار مؤسسات الدولة الحديثة التي هي دولة المؤسسات، الأمر الذي يجعل هذه القوانين ذات طبيعة إلزامية لأصحابها وللمجتمع برمته"[٤] .

---

[١] فرديرك هيتر، مصدر سبق ذكره، ص١٦٠.

[٢] حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، ط١، (بيروت : المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥)، ص١٨٥.

[٣] مجموعة مؤلفين، الفلسفة السياسية المعاصرة: من الشموليات إلى السرديات الصغرى، ط١، (بيروت: دار الروافد الثقافية، ناشرون، ٢٠١٢)، ص٧٦٦.

[٤] المصدر نفسه، ص٢٦٧.

إنَّ هابرماس بهذا يحافظ على كيان الدولة التي هي بدورها تنطلق من مبدأ جعل السيادة تنتمي إلى القانون، وهو المبدأ الذي لا ينفصل اليوم عن تصورنا للديمقراطية ودولة الحق، لا يلغي مفارقة السيادة، بل يزكيها ويرسخ منطقها وجودها أكثر، فعلى الفاعلين في المجتمع الحفاظ على العلاقة التواصلية والتشاركية والحوارية بين الدولة والمواطن على أسس ديمقراطية يرعاها القانون ويلاحظها ويقرها المجتمع المدني، عبر وسائل الإعلام والمؤتمرات التشاورية[١].

الخاتمة

يتضح أنَّ مدرسة فرانكفورت تميزت بالتعددية مع الوحدة إذ كان كل عضو مختلفاً عن الآخر، فكانت لكل منهم اهتماماته الخاصة ونقاط قوته وضعفه الفكرية المميزة إلاَّ أنهم جميعهاً كانوا يشتركون في التزامهم تجاه المجموعة نفسها من الموضوعات والاهتمامات، لم يربط أي عضو من تلك المدرسة يوماً الحرية بأي نظام أو جماعة أو تقليد، وكانوا يتشككون كافة في نماذج التفكير المؤسساتية، وقد سعوا جميعاً لمعالجة مشكلات جديدة من خلال تقديم فئات جديدة، وكانت النظرية النقدية بين أيديهم تتميز بجرأة فكرية وبطابع تجريبي، وقد كانت تلك النظرية بالنسبة اليهم مسألة منهج في المقام الأول.

وتوصل البحث إلى عدد من الاستنتاجات اهمها:

١- يعد ماركيوز احد رواد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت وكان له الأثر البالغ في تطور الأفكار السياسية لهذه المدرسة إذ كانت نظريته النقدية قائمة على نقد المجتمع المؤسساتي الذي يحول الإنسان الى مجرد آلة في أيدي الحكومة وخاصه نقده للنظام الرأسمالي نقد للأوضاع الراهنة للمجتمع، وإلقاء الضوء على سلبيات هذا الوضع فقط اتضح هذا الحديث عن السلطة والتسلط للدولة واستعمال القوة، والتقدم التكنولوجي وأضراره التي أدت إلى نوع من

[١] المصدر نفسه، ص٢٦٦.

العقلانية التكنولوجية (الأداتية) التي أدت إلى اغتراب الإنسان وشعوره بعدم الأَمان، ولكن كانت افكاره النقدية نظرية اكثر مما هي عملية، إمَّا هابرماس هو رائد الجيل الثاني للمدرسة، وكان لأفكاره الأثر المهم في الفكر الألماني والغربي، وما لنظريته النقدية النقدية التواصلية من صدى كبير على الفكر النقدي الأوربي، إذ عمل على نقل النظرية النقدية في المدرسة من طابعها النظري المستعمل عند الجيل الأول إلى الطابع العملي والممارسة في جيله، إذ أكد على التواصل بين أفراد المجتمع، وكذلك لوحظ من خلال بحث التأثير والتأثر أنَّ هابرماس رغم انتمائه لمدرسة فرانكفورت، ورغم تأثره بالمدرسة في النقد، إلاَّ أنه نحى بالمدرسة منحى آخر فالنظرية النقدية عنده لم تعد نقداً للواقع فقط، ولكن محاولة لتحقيق التواصل بين البشر، ورأى أنَّ هذا التواصل سوف يؤدي إلى تحرر الوعي الإنساني من كل أشكال السيطرة والهيمنة

٢- ومما سبق نلاحظ أنَّ كل أعضاء مدرسة فرانكفورت كانوا حريصين في هذه المدة على التأكيد على الاصول الهيغلية، والماركسية لنظريتهم النقدية، فكثيراً ما شرح ماركيوز موقعهما النظري من خلال الانتقال من هيغل إلى ماركس، أو من الجدل المثالي إلى الجدل المادي، ويتضح ذلك عند ماركيوز في كتاب (العقل والثورة)، إنَّ النظرية النقدية عند ماركيوز تمثل أداةً ووسيلة لتغيير المجتمع والوضع الراهن، وأنها تمثل وسيلة لتحقيق التوافق بين الإنسان والمجتمع، فهي بمثابة ثورة اجتماعية لإحداث تغيير في الظروف والأحوال السائدة في المجتمع، وكان لهذه الأفكار صدى واسع في ألمانيا وخارجها، إمَّا هابرماس يحتل فكره هيكلا متكاملا للفلسفة النظرية النقدية إذ ينهل من تراث كانط، وهيغل، واعتماده الجزئي على ماركس وماكس فيبر، فلاغرابة أن نجد عصارة هذه الفلسفات تظهر في فكره وبنائه الفلسفي المعرفي منه والمنهجي، وكانت فلسفته بمثابة انطلاقة جديدة لاتجاه نقدي رسم معالمه بدفاعه عن السيادة والدولة في الفلسفة السياسية وذلك من خلال نظريته التواصلية التي

تهدف من ورائها إلى استكمال مشروع الحداثة عن طريق تأسيس عقلانية تواصلية لتتجسد في أفق الحوار والنقاش من أجل الوصول إلى اتفاق وتفاهم بين الذوات عن طريق اللغة، ويعتمد مفهوم العقلانية التواصلية في البناء الفلسفي الهابرماسي الذي يرفع شعار الارتباط بين النظرية والتطبيق الذي يهدف من خلاله إلى وضع نظرية نقدية لمجتمع يقوم على أساس العقلانية ولن يكون ذلك إلاَّ بتفعيل دور الفلسفة في المجتمع.